ديوان أبي سلمى

عبدالكريم الكرمي

دار العودة

www.rewayat2.com
روايات
كتابك المفضل
بلغة العصر
للنشر الإلكتروني
electronic Publishing

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة

الطبعة الاولى

١ - ٥ - ١٩٧٨

بيروت - كورنيش المزرعة بناية الريفيرا سنتر

تلفون : ٣١٨١٦٥ - ٣٤٠٨١٠

الاهـــداء

الى حفيدي كريم

شعاع أمل من أشعة الفجر الفلسطيني

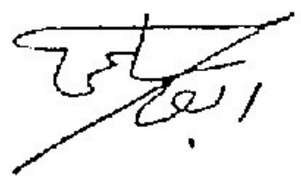

www.rewayat2.com روايات ٢ كتابك المفضل بلغة العصر للنشر الإلكتروني Electronic Publishing

مقدمـــة

هذه مجموعتي الشعرية وتتألف من قسمين حسب الزمن ، الاول هو الذي قيل عندما كنت في وطني فلسطين أي قبل سنة ١٩٤٨ والقسم الثاني هو الذي قيل بعد ذلك التاريخ أي منذ التشرد عن الوطن حتى الآن .

وليس القسم الاول كل ما قلته في وطني فلسطين قبل النكبة . فلقد فقد منه الشيء الكثير ، وكان الفضل في ايجاد قسم كبير منه لبعض الاصدقاء الاعزاء الموجودين في الوطن وفي طليعتهم الصديق العزيز المحامي الاستاذ حنا نقارة رئيس النادي الارثوذكسي العربي آنذاك في حيفا وأحد القادة الطلائعيين هناك .

كنت احفظ اشعاري المخطوط منها والمطبوع في الصحف والمجلات في ادراج مكتبي في عمارة الكرمليت بحيفا حيث كنت أعمل محاميا ولم أكن احتفظ في داري الكائنة في شارع البساتين في

حي الألمانية الاّ بالقليل النادر مما نظمت وكتبت . ولما بدأت الاضطرابات في حيفا ارسلت ولدي وزوجتي الى عكا عند اسرتها وبقيت وحدي في حيفا .

ولما اشتدت الاضطرابات،لم استطع الذهاب الى عكا الاّ بزورق بخاري عن طريق البحر حيث كانت المستعمرات الاسرائيلية منثورة على طريق البر .

وسقطت حيفا بتاريخ ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ في ايدي الاسرائيليين ولم استطع أن اخذ معي الاّ رواية شعرية لي عن ثورة القسام وثورة سنة ١٩٣٦ ومعها مقدمة لها بقلم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني .

وبتاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٨ غادرت عكا الى دمشق عن طريق ترشيحا والجبل ومعي مفاتيح البيت والمكتب للعودة السريعة خلال اسبوعين ـ كما وعدت الدول العربية ولكن عكا سقطت في ايدي الاعداء ـ ١٦ أيار سنة ١٩٤٨ وبقيت البلاد تتساقط واحدة تلو الاخرى . وتتساقط معها الكرامة العربية ، ولا تزال المفاتيح تنتظر

العودة مع اصحابها الى فلسطين .

سكنت دمشق ـ المدينة العربية الغالية على العرب وعلى قلبي فقد تعلمت في مدارسها الابتدائية والثانوية وكنت مع القافلة الاولى من الطلاب الذين قدموا اول امتحان لشهادة البكالوريا . بعدنا عن فلسطين ، ولكننا حملناها في قلوبنا ، أينما سرنا ، وبقينا على صلة وثقى بالارض والاهل ، كما بقي الاهل هناك على صلة بنا ، وكان الشعر الفلسطيني احد جسور العودة . وظهر الشعراء الجدد في فلسطين المحتلة الذين تركناهم فراخا صغيرة ، يتعثرون في مشيتهم على شواطىء الشعر الفلسطيني ، وما لبث زغب تلك الفراخ ان استبدل بأجنحة قوية ، امتدت واشتدت حتى اصبحت تقاوم الريح وتعلو في الطيران ، وانطلقت الطيور في الفضاء صادحة وجارحة وهكذا كانت وستبقى وحدة الشعر مع وحدة النضال في فلسطين .

كان الشعر الفلسطيني في بدء الانتداب البريطاني امتدادا للشعر الفلسطيني في أواخر زمن الدولة العثمانية ، والشعراء الذين قاوموا السيطرة العثمانية قاوموا الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية

بأصوات شعرية تقليدية .

ولم تظهر اصوات شعرية متطورة حملت نسائم التجديد فكرا وخيالا واسلوبا وتركت طابعها السياسي والاجتماعي والثوري والفناني في الحياة الفلسطينية الاّ بعد سنة ١٩٢٧ وعلى ايدي شعراء الشباب آنذاك .

كان ابراهيم طوقان قد أنهى دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت بعدما لمع نجمه الشعري وعاد الى فلسطين وكانت لنا صلة قديمة بآل طوقان اباً عن جد ، وتلاقيت انا وابراهيم وسرنا معا رفاق شعر وحياة .

وجاء من سورية في ذلك الوقت الاستاذ جلال زريق للعمل في فلسطين والاقامة فيها وكانت له ثقافة واسعة وله اختصاص ومؤلفات بالرياضيات العالية كما أنه كان أديبا وشاعرا كبيرا الى جانب تضلعه باللغات الأجنبية مع ذكاء وظرف وتعشق للجمال وتم اللقاء بيته وبين ابراهيم وبيني وقويت الصلة بيننا في الحياة والادب وكنا لا نكاد نفترق ثم كنا نملأ الصحف ادباً وشعراً وهكذا سرنا نحن الثلاثة

مرحلة شعرية غنية .

كان للشعراء الشباب آنذاك فضل كبير في التوجيه السياسي والاجتماعي . وهاجموا الاستعمار اساس الداء وأصل البلاء وطالبوا بالاعتماد على الشعب وحده في تحقيق اهدافه وهو وحده الذي يقرر المصير وأيّدوا الحركات العمالية الناشئة انذاك ودافعوا بالكلمة عن المثل العليا وعن الحرية والديمقراطية وحاربوا الزعامات الزائفة والمشبوهة لا يمارون ولا يتزلفون ولا يتاجرون ، دافعوا عن كلماتهم فكانت تعبر عن مواقفهم وساروا مع شعبهم وسجلوا كل خفقاته وتطلعاته ، سجلوا أحزانه وأفراحه ، وسكناته وثوراته،لهذا كله ترك الشعراء الشبان آنذاك طابعهم واثرهم في فلسطين وكان شعرهم طليعيا في الشعر العربي صدقا والتزاما .

وبعد فهذه أشعار ، قيلت في شتى المراحل ، منذ عهد الدراسة والصبا الى ايام الشباب والنضال الى عهد التشرد والثورة حتى الآن وهي تعكس ما احسست وفكرت به عاطفيا وسياسيا ، واجتماعيا وانسانيا . وقد ضاعت الرواية الشعرية عن ثورة القسام وثورة سنة

١٩٣٦ مع مقدمة المازني كما ضاع غيرها :

وبقيت هذه المجموعة الشعرية ويغفر لي في نشرها الآن ، انها اشعار صادقة ملتزمة بقضايا شعبي الفلسطيني والعربي . وهي جزء من تاريخ وطني الدامي.

فلسطين

فلسطينُ ! يا حلُمَ الثائرينْ ... فلسطينُ ، يا وطنَ الخالدينْ
أطلّي على أفُقِ الارجوان ... معطّرةً بشذا الدّارعين
وسيري على رُبواتِ الزمان ... مجنّحةً بجهاد السنين
تنامُ على راحتيكِ النجومُ ... وفجرُ الاماني فوقَ الجبين
وخلفك جلجلة الخافقين ... تهاوتْ على الظلم والظالمين
وشعبك يزحف فوق اللهيب ... ويُقسم باسمك أن لا يَدين
ترابُك . يا طهرَ ذاك التراب ... يُنَشّي فيحلو الهوى والحنين
بناتك خلف دروب الجهال ... وفوق الجبال دروب البنين

* * *

لنا دُولٌ . لينها لم تكن مطا ... يا وأذناب مستعمرين
وجامعةٌ . لم تزل دُمْيَةً ... يخفُّ اليها الرجيم اللعين
فلسطين . إنّا بنينا الحضارة ... فوق العصور كما تذكرين
ونحن الذين أنرنا الطريق ... وكنا مشاعلَ حقٍّ ودين
تسير على جانبينا الشعوبُ ... ونحن أمام الصباح المُبين
وحريّةُ الفكرِ نحن الذين ... رفعنا لواءها . كما تعلمين

ونحن الذين ثَوَروا على الظلم والجهل والفقر في كل حين
ونحن الذين حملنا الرسا لة للأوّلين وللآخرين
ونحن الذين خلقنا الجهاد ونحن الذين حمينا العرين
نطهّرُ أرضك بالدم حرّا فكيف نجود ولا تطهرين
ومبدأنا عالمٌ واحدٌ وتخليدُ حريّةِ العالمين

***

وادي الحوارث

وادي الحوارث اراض خصبية تبلغ مساحتها ٣٣ الف دونم يقع على الساحل بين حيفا ويافا . وقد باعه آل التيان اللبنانيون الى اليهود بثمن (صوري في دائرة الاجراء) قدره ٤١ الف جنيه فلسطيني وفي سنة ١٩٣٣ أجلت الحكومة البريطانية عنه سكانه العرب البالغ عددهم ١٥٠٠ نسمة مع مواشيهم بالقوة بعد ان قتل الجند بعض اهاليه وكان شيخ عرب وادي الحوارث اسمه الشيخ اسماعيل العوني .

حمام الوادي

وَدّعْ ظلالَك يا حمامَ الوادي أنّى الزّمانُ بغصنكَ المَيّادِ
مِن بَعْدِ مَرْحَتِهِ وعذبِ غديرِهِ نَمْ في الهجيرِ وأنتَ طاوٍ . صادِ
أرسِلْ نَواحَكَ يا حمامُ وقُلْ لنا هَلْ في حِمى الوادي حمامَ شادِ
وأبكِ النسيمَ نَدِيّةً أردانُهُ إنّ البُكاءَ يهونُ عندَ بعادِ
كان الرسولَ اليكِ إنّ غَلَبَ الهوى يختالُ فوق ربى وفوقَ وِهادِ
حتّى إذا وافى الديارَ ترقرقتْ عَبراتُهُ وروَى حديثَ فُؤادي

طِرْ في الفضاءِ . وهل يَطيرُ مُطَوَّقُ ... تصَتْ جِناحَيْه يَدُ الصيّاد

* * *

يا جيرةَ الوادي الحزينِ تحيةً ... حمراءَ أنطقَها دَمُ الاكباد
تتلمّسُ الماضي فتُبْصر ظلَّهُ ... خلفَ الدموعِ على شِفارِ العادي
كانت تزينُ بُرودَهُ سمرُ القَنا ... فتعِجّ السنون عجائبَ الأبراد
ما تملكون!! أفي النفوسِ حميّةٌ ... أبقيتُمُ الأسيافَ في الأغماد
لو كان في تلك النفوسِ حميةٌ ... عربيةٌ شَدَّت على الأصفاد
لو كان في تلك الانوف بقيةٌ ... لتحطّمتْ حلقاتُ الاستعباد
لو تسمعون صدى القبور وجدتُمُ ... جنباتِها تَبْكي على الأجداد
كرِهَتْهمُ الدنيا الدنيةُ حينما ... كرهوا حياةً كريمةٍ وجهاد
ومشى الزمان عليهمُ حتى اذا ... ماتَ الاباءُ مشى على الاحفاد

***

جبل النار

جبل النار لقب يطلق على جبل نابلس وهو مكون من سلسلة جبال دارت فيها المعارك بين المجاهدين والقوات البريطانية سنة ١٩٣٦ .

جبلَ النارِ يا أعزَّ الجبالِ أنت لا زلت ، معقد الآمالِ
تُثبت المجدَ فوق سفحك فيضان وتسقيه من دم الابطالِ
يُفصح الصخر عن شمائل أبنائك فوق اللظى وعند النزالِ
ما ذكرنا حماك الاّ انتشينا وانتشت نخوةً رؤوس الرجالِ

* * *

أيها الثائرون في جبل النار سلاماً يا زينة الابطال
لكم الله يا حماة فلسطين وحتم مصارع الآجال
تحملون الارواح فوق أكفٍ وتبيعونها ولكنّ غوالي
ورصاصاتكم تمرُّ على الايام حُمراً مضيئةً في الليالي
تصرع الطائرات مثل طيور الجو تهوي ما فوق تلك التلال
يسمع الجند في صداها لُغى الموتِ فلا يثبتون يوم القتالِ

* * *

ايها الثائـرون قولـوا ، فان الكـو ن يُصغـي الى لهيب المقال
والمعـوا في غياهـب الظلـم تجلوها فـان الجهـاد رحـب المجال
انمـا الحـق من بنادقـكم يسطع والعـدل من وراء العوالي
انظـروا اليوم كيف يلتفـت التا ريخ حتـى يرى بريق النصـال

* * *

جبـلَ النـار زادَكَ تجمـل الدهـــر يحبّي مُحطّـم الاغـلال
جبـلَ النـار لم تخلّدك الاّ ثـورة في سبـيل الاستقلال
جبـلَ النـار! إقـذف النار حتى تُبصرَ النـورَ يا اعـز الجبال

***

جبل المكبّر

يا فلسطين

شادت الحكومة البريطانية قصراً للمندوب السامي البريطاني فوق جبل المكبر المشرف على مدينة القدس ..وهو الجبل الذي وقف عليه الخليفة عمر بن الخطاب وكبّر قبل دخول بيت المقدس :

آفاتـكِ الحمـر انتشـت راياتها قـد أقسـمت ألاّ تُظِـلّ ذليلا
ثوري ولـو فرش الـذين طغـوا على طـرق الجهـاد أسنـةً ونصـولا
لا بأس إنْ نضجتْ دماً جنباتُها فـاليوم لا يغـدو دمٌ مطلولا
إيه فلسـطين اغضبـي وتحرّري ضاعـت حقوقـك بـين قال وقيلا
مدّي القلـوب على الظُّبـى وتبسمي تجـدي على تلك الحـدود فلولا
أمهلـتِ ظالمك العتـلّ ومـا درى أنّ التهـاس يسـتحيل صليلا

* * *

إيه فلسطين المجاهـدة اثبتي فالظلـمُ مرتعُـهُ يكون وبيلا
ها هم بنـوكِ لَوَوْا أعنّـاتِ الردى وأتـوكِ لا يرضـون عنـك بديلا

يتزاحفـون الى اللهيب كأنهمْ ظمـأى وقـد عدّوا اللهيب النيلا
فلّـوا حديد الظـالمين بمثله وبدونـه لن تبلغـي المأمولا
لا مجـد الاّ حيث يشجـر القنا فتشيده مجـداً أشـمّ أثيلا
في كل ناحية شهيدٌ خالدٌ هـو مَنْ ينـادي لا نريد دخيلا
قم يا شهيد القوم واخطب في الورى أصبحـت حيّاً مذ غدوت قتيلا
جبـلَ المكبّـر.. طالَ نومـك فانتبهْ قـم واسمـع التكبـير والتهليلا
فكأنّمـا الفـاروق دوّى صوته فجـلا لنـا الـدنيا وهـزّ الجـيلا
جبـلَ المكبـر!.. لن نلـين قناتنا مـا لم نحطّـم فوقـك البـتيلا

***

شباب

إنتدابـان يحرقـان فلسطيـنَ وأرّبَـتْ عليهمـا الأحـزابُ
مزّقـوا قلبَهـا وهـدُّوا قِواها ويَقولـون في البـلادِ شبـابُ
يتنـادَوْنَ في الظـلامِ ويَعمـون إذا أشرَق السّنـى الخلاّبُ
يا شبابـاً يَمْشُـونَ دونَ قلـوب وعقـولٍ كأنّهـمْ أنصـابُ
إمسـحوا التُّـربَ عن جباهكم السّـودِ فقدْ عَفّـرَ الجبـاهَ التُّرابُ
ثم سيروا الى الكرامـةِ والمجـد ولو سارت الـرُّبى والهِضَاب
ليتَ شِعـريَ متّـى يجـيءُ زَمانٌ في فلسـطينَ والشّبـاب غِضـاب

***

www.rewayat2.com روايات ٢ كتابك المفضل بلغة العصر للنشر الإلكتروني Electronic Publishing

لهب القصيد /

كانت ثورة الشعب العربي الفلسطيني سنة ١٩٣٦ احدى ثوراته العظيمة امتازت بشمولها جميع طبقات الشعب وبعنفها وبانها موجهة ضد الانكليز لانهم أصل الداء ورأس البلاء وامتازت بالاضراب الكبير الذي امتد حوالي ستة اشهر من ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٦ الى ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ وبقيت الثورة مستمرة حتى تدخل ملوك العرب وامراؤهم وهم الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي والامام يحيى حميد الدين والامير عبد الله بن الحسين واذاعوا النداء التالي موجها الى الشعب العربي الفلسطيني :

« الى أبنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله . ندعوكم للاخلاد للسكينة . حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية . ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

وقد اذاعت اللجنة العربية العليا في فلسطين هذا البيان في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ مع بيان اعلنت فيه تلبية النداء ودعت الامة العربية الكريمة في فلسطين الى الاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداءً من يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ .

أُنشِرُ على لَهَبِ القصيدِ شكوى العبيدِ الى العبيدِ
شكوى يردّدها الزمانُ غداً الى أبد الأبيدِ
قالوا : الملوك . وإنهم لا يملكون سوى الهبيدِ
دُكّتْ عروشٌ زيّنوها بالسلاسل والقيودِ
سُحقاً لِمَنْ لا يعرفون سوى التذلّل بالوعودِ
وأذلّهُمْ وعدُ اليهود ولا أذلّ من اليهودِ

* * *

إنيّ لأُرسلها بجلجلةً الى الملكِ السعودي
أستارُ « مكةَ » كيفَ تسدلها على الخصمِ اللدودِ
تأبى الصحارى أنْ يُدنّسَ رملها «فيلبي» و «مودي»[1]
لَنْ تطهر الدنيا وفيها «الانكليز» على صعيدِ

لو كان ربّي انكليزياً دعوتَ الى الجحود
أمحلاً ذبحَ القريب محرّما ذبحَ البعيد
تلهو بصَيْدِكَ، لا أبالَكَ، في السهولِ وفي النُّجود
والأهلُ أهلُكَ يُقتَلون ويُنشَرون على الجُرود

* * *

«أبو طلالٍ» في ربى عَمّانَ يحلمُ بالحدود
أقعُد فلستَ أخا العُلى والمجدِ وانعَمْ بالقعود
المجدُ أنْ يحمي الرصاصُ على المدى حُمْرَ البنود
وأحكمْ على الشُطرنجِ ليسَ على الفيالقِ والجنود
لهفي على الاردنّ كيفَ يسيرُ كالرّجل الطَّريد
في ضِفّتَيْهِ مآتمٌ قامت على الماضي المجيد
يا دولةَ الأصنامِ خَيْرٌ منكِ مملكةُ القَرود

* * *

عَرِّجْ على اليَمَنِ السّعيد وليسَ باليمن العيد
واذكُرْ إماماً لا يزالُ يعيشُ في دنيا ثمود
وسيوفُه أثريّةٌ يا تعسَ هاتيكَ الغُمود
تفنى الحياةُ وقومُهُ ما بين «قاتٍ» أو هجود

* * *

واعطف على «بغداد» وانْدُبْ عرش هارون الرشيد
خلاهُ «فيصل» والذئابُ مغيرةٌ حول الوليدِ

* * *

وأهبطْ الى مِصرَ الملوكِ وقُلْ لها يا مِصرُ ميدي
يا مِصرُ ضيعْتِ المُنى بين الفريدةِ والفريدِ[٢]
خلِّ الخلافةَ وألْعَبنَّ على الارائكِ والمُهودِ
دعْ سُبْحَةَ التضليلِ وأخلعْ عنكَ كاذبةَ البُرودِ
ما أنتَ الا دميةٌ يُلهى بها في يوم عيدِ
والنيلُ يبكي حيث لا يقوى على جرِّ الحديدِ
زُرقُ العيونِ حيالَهُ مِنْ كلِّ شيطانٍ مريدِ

* * *

إيهٍ.. ملوك العُرب لا كنتمْ ملوكاً في الوجود
هل تشهدونَ محاكمَ التفتيشِ في العصرِ الجديد
قوموا أسمعوا مِنْ كلِ ناحيةٍ يصيحُ دمُ الشهيد
قوموا أنظروا «القسّامَ»[٣] يُشرقُ نورُهُ فوق الصرود
يُوحي الى الدنيا ومَنْ فيها بأسرارِ الخلود

قوموا انظروا « قرحان »[1] فوق جبينه أثر السجود
يمشي الى جبل الشهادة صائماً مشيَ الاسود
سبعون عاماً في سبيل الله والحقّ التليد
خجل الشباب من المشيب بل السنون من العقود

* * *

قوموا انظروا الاهلين بين الوَعْدِ - ضاعوا - والوعيد
ما بينَ مُلقىً في السجون.. وبين منفيٍّ شريد
أو بين أرملةٍ ثُوَلْوِلُ أو يتيم أو فقيد
أو بين مجهولٍ يرى عَصْفَ المنون من النشيد
قوموا انظروا الوطن الذبيح من الوريد الى الوريد
تتزاحمُ الاجيالُ دامية الخُطى فوق اللحود

* * *

إيه.. شعوبَ العرب أنتمْ مبعثُ الأمل الوحيد
فلِمَ تُقطِّعها سياستُهمْ من القلبِ العميد
« اسكندرونةُ » نبتة حمراء من زرع حصيد

* * *

سيروا على الدَّرْبِ المُخضَّبِ وألثموا أثر الجدود
حُرّيةُ الانسانِ بالدَّم تُشترى لا بالوعود
طُرُقُ الحياةِ مُزيَّناتٌ بالظبى لا بالورود

* * *

إيه فلسطينُ . اقحمي لُجَجَ اللهيبِ ولا تحيدي
لا تَصهرُ الاغلالَ غيرُ جَهنّمِ الهَوْلِ الشديد
حَلَفَتْ دِماءُ الثائرين على العُلوجِ بأن تَسُودي
والثورةُ الحمراءُ تُطعِمُها الجسومَ مع الكبود
أيّانَ تسألُ نارَها فتُجيبُنا هَلْ مِنْ مزيد
وَوَقودُها أهلُ الكرامة من جحا جحّةٍ وصيد
يا نارُ لا تتظلّمي وتقبّلي شرفَ الوقود

* * *

يا مَنْ يُعزُّونَ الحِمى ثوروا على الظُّلم المبيد
بل حرِّروه من الملوكِ وحرِّروهُ مِنَ العبيد

***

www.rewayat2.com روايات ٢ كتابك المفضل بلغة العصر للنشر الإلكتروني For electronic Publishing